بسم الله الرحمن الرحيم

هيئة الأعمال الفكرية

كراسة فكرية (١٥)

أربعة مؤثرات سودانية في فكر مالكولم إكس ومسيرته الدعوية

د. محمد وقيع الله أحمد

فهرسة المكتبة الوطنية - السودان

218.7 محمد وقيع الله أحمد

م و . أ

أربعة مؤثرات سودانية في فكر مالكولم إكس ومسيرته الدعوية/ محمد وقيع الله أحمد.- ط 1. هيئة الأعمال الفكرية 2006م

36 ص : إيض 24 سم. - (سلسلة كراسات فكرية: 15)

ردمك :1 - 26 -59 -99942

1 - الإسلام ، دعوة.

2 - إكس، مالكولم. نشاطاته الدعوية.

3 - الدعاة السودانيون في أمريكا.

أ. العنوان

اسم الكتاب : أربعة مؤثرات سودانية في فكر مالكولم إكس ومسيرته الدعوية

المؤلف: د. محمد وقيع الله أحمد

الناشر: هيئة الأعمال الفكرية

سنة النشر: الطبعة الأولى 2006م

رقم الإيداع: 672 /2006

الرقم الدولي : ردمك : 1 - 26 -59 -99942

الطابعون: شركة مطابع السودان للعملة المحدودة

عنوان الناشر: الخرطوم- العمارات ش 35

تلفون :571437 - 0183- فاكس 571438 - 0183

ص.ب: 12001 - الرمز البريدي :11111

الموقع على الإنترنت:www.fikria.org

قائمة المحتويات

إِهداء

إِلى مقام أستاذنا العلامة

الدكتور أحمد محمد البدوي

مع الإِعزاز...

المؤلف

الإِطار العام للموضوع

عاش الزعيم الأمريكي الأسود مالك شباز المعروف باسم مالكولم إِكس (١٩٢٥-١٩٦٥م) حياة قصيرة بالمقارنة مع الفترات الزمنية التي عاشها الزعماء التاريخيون الكبار، إِلا أنه ترك مع ذلك وراءه آثاراً لا تُمحى كثيرة وكبيرة وخطيرة.

وبدون إِغفال لجهود الزعيم الشعبي الأمريكي الأسود الدكتور مارتن لوثر كنج، يمكن أن يُقال إِن مالكولم إِكس هو الذي حول مساق العلاقات العرقية في أمريكا إِلى الاتجاه الذي تسير عليه الآن بعد أن بعث في سود أمريكا من الثقة بأنفسهم والاعتداد بقدراتهم ما لا يزال يشحذ مسيرتهم في سبيل الانعتاق والنماء الذاتي ونيل الحقوق، والإِسهام في تطور المجتمع.

أُتيح لمالكولم إِكس أن يقنع خلال حياته نحواً من أربعين ألفاً من الأمريكان باعتناق الإِسلام، إِلا أن الأثر الفكري والأدبي العجيب الخالد الذي نشر بُعيد موته بعنوان: (مذكرات مالكولم إِكس) ما زال يقود الأمريكان سوداً وبيضاً نحو اعتناق دين الإِسلام الصافي المبرأ من الشوب العنصري، وهو كتاب مقروء جيداً وقل أن تجد أمريكياً مثقفاً لم يقرأه، أو أمريكياً عادياً لا يعرف خبراً عنه، ولعله طُبع حتى الآن أكثر من خمسين طبعة، ويعتبر مقرراً دراسياً في كثير من الجامعات، وله متون مختصرة تُدرس بكثير من المدارس الثانوية والمتوسطة، ويوجد الكتاب بنصه الأصلي، وبمتونه المقتبسة عنه، أو الحواشي المضافة إِليه في نحو عشرة آلاف مكتبة عامة في الولايات المتحدة، إِضافة إِلى مكتبات الجامعات والمدارس، ولا تخلو مكتبة تجارية من أقل من خمس كتب جديدة صادرة عن مالكولم إِكس.

وفي الجملة فقد غدا مالكولم إِكس مثار إِعجاب عام ومحط تكريم عظيم، وقلما يكتب أحد في الآونة المتأخرة نقداً في إِزدرائه كما كانوا يكتبون عنه بظلم صارخ في إِبَّان حياته، وقد تتوجت أعمال الإِعجاب والاحتفال بمالكولم إِكس بالفيلم الطويل المتوازن، الذي مثل دور البطولة فيه الممثل الأمريكي الكبير واشنطون دينزل، وأمسى خير سجل لسيرة مالكولم المجيدة.

إن الآثار الإيجابية العظيمة التي خلفها مالكولم إكس في التاريخ، قد تصدت لبحثها ودراستها وتقديرها قبل هذا الفيلم مئات الكتب وآلاف المقالات التي كُتبت عنه خلال العقدين الأخيرين، ولسنا بصدد استعراض شيء من ذلك الآن، ولكنَّا بصدد تلمس وبحث أصول مؤثرات كان لها دورها في دفع مالكولم إكس في مشواره النضالي الذي مضاه، وهي مؤثرات سودانية صدرت عنها كلمات مقتضبة، وإشارات عابرة، في بعض الكتب والمجلات والصحف التي تناولت سيرة مالكولم إكس، ولم يقم مصدر واحد – في حدود علمي – بتقصي ذلك الأمر أو إعطائه حقه من العناية المستحقة.

وفي بعض الأحيان عومل الأمر بنوع من الخفة أو الاستخفاف من قبل بعض المصادر، وهو شأن مشهود في التعامل مع الشؤون السودانية في بعض الدوائر الأكاديمية والبحثية الغربية، ولكن يمكن إعذار من أغفلوا أو استخفوا بشأن المؤثرات السودانية على فكر مالكولم إكس ومسيرته الدعوية، لأن الإشارات التي وردت في المصادر الأصلية عن تلك المؤثرات كانت إلى حد ما مبهمة غامضة، ولا تغري باحثاً بالتوغل في تتبع الموضوع وصولاً به إلى الجذور، كما أن الباحثين السودانيين أنفسهم لم يؤدوا دورهم – في حدود علمي – تجاه تبيين جلية الأمر للباحثين الأمريكيين المهتمين، بل والمولعين، بتحليل ظاهرة مالكولم إكس وتجلياته في الفكر والدعوة والنضال.

وهذه المادة البحثية التي نقدمها للقراء اليوم لا تحاول أن نستجلي فيها الأمر من جميع نواحيه الدانية والقصية، ولا نحاول إلا أن نلقي ضوءاً عاماً على الموضوع بعد أن تحدد إطاره النظري العام.

وفي هذا البحث حصرنا حديثنا على أربعة مؤثرات ذات مصادر سودانية أساسية أسهمت إسهاماً كبيراً في توجيه فكر مالكولم إكس ومسيرته الدعوية سواء بشكل مباشر أو غير مباشر وذلك من خلال فترة زمنية طويلة بدأت قبل ميلاده.

وفي هذا المسعى وضعنا أيدينا على مؤثرين غير مباشرين على فكر مالكولم إكس ومسيرته الدعوية تمثلا في تراث الفكر السياسي الإسلامي للمناضل السياسي العالمي دوس محمد علي، ثم الفكر الديني الدعوي للشيخ المجاهد ماجد ساتي.

كما وضعنا اليد على مؤثرين مباشرين، برز الأول على صورة تأصيلية شرعية على يد الشيخ الداعية السلفي أحمد حسون، والثاني على صورة مفهومية حركية على يد البروفيسور – الطالب حينها – أحمد صديق عثمان، وهو مواطن سوداني ما يزال حياً يرزق ويجاهد في سبيل نشر مفاهيم الإسلام بالولايات المتحدة الأمريكية.

وسنقوم بالحديث عن هذه المؤثرات من خلال الأطر التاريخية والسياسية والفكرية التي برزت فيها، مقدمين الأدلة الوثائقية الكافية على مدى فاعلية هذه المؤثرات ومقدار إسهامها في توجيه مالكولم إكس وتسديد خطاه.

جذور القومية الحضارية السوداء

لقد جاءت الدفعة التأثيرية الأولى على فكر مالكولم إكس ومسيرته الدعوية، من طرف شخصية شديدة الإثارة والغرابة هي شخصية الزعيم السياسي دوس محمد علي، رحمه الله، (١٨٨٧ – ١٩٤٥م) وهي تأثيرات غير مباشرة بطبيعة الحال. ولكنها كانت قوية كما كانت مزدوجة، إذ أنها أثرت في مالكولم عن طريقين مختلفين كان كلاهما قريباً منه. الأول هو طريق أبيه (إيرل ليتل) الذي تتلمذ على ماركوس جارفي الذي تتلمذ بدوره على دوس محمد علي، وقد انتظم والد مالكولم (إيرل ليتل) في دعوة جارفي للقومية السوداء والاعتماد الاقتصادي على الذات وإنشاء دولة خاصة بالسود في أمريكا. وأما الطريق الثاني فهو طريق إليجا محمد زعيم (أمة الإسلام) في أمريكا، وهو الآخر تلميذ لماركوس جارفي، وكان له دور قوي في استنقاذ مالكولم من عالم الجريمة والسجون وإعداده لدوره الرسالي في إطار نضال السود.

وُلد دوس محمد علي لأم سودانية وأب مصري كان يعمل ضابطاً في جيش القائد الثوري الإسلامي الشهير أحمد عرابي، وشارك معه جهاده الثوري ضد الإنجليز، واستشهد في معركة التل الكبير في عام ١٨٨٢م. وقبل ذلك كان قد أرسل ابنه دوس – وهو في التاسعة من عمره – لتلقي العلم بإنجلترا. وظل دوس يحضر خلال إجازاته الدراسية إلى مصر فيلتقي بأفراد أسرته ويحضر بعض مجالس أبيه مع الثوار العرابيين.

وقد تاحَ لدوس محمد أن يلتقي بالقائد أحمد عرابي وأن يحادثه، فتأثر كثيراً بأفكاره الوطنية الإسلامية المناهضة للاستعمار وللتبعية الثقافية للغرب. وبدلاً من أن يلتحق دوس محمد علي بدراسة الطب كما أوصاه أبوه، فقد جرفته أفكار الثورة إلى دراسة التاريخ الإنساني لا سيما تاريخ الشعوب السوداء، وإلى العمل بالصحافة النضالية، والاتصال بالحركات الوطنية المكافحة للاستعمار.

وفي لندن أنشأ دوس محمد علي مجلة باسم الأزمنة الإفريقية والعرض الشرقي (African Times & Orient Review))، وقد عرف في تلك المجلة العالم بنضالات ثورة عام ١٩٢٤م في السودان بقيادة الزعيم علي عبد اللطيف ومجاهدي جمعية اللواء الأبيض، ونشر في المجلة مقالات متعددة لقادة الثورات الإفريقية وقادة

السود الأمريكيين من أمثال ماركوس جارفي الذي كتب مسانداً لثوار عام ١٩٢٤م في السودان، وكان ماركوس جارفي قد قدم إلى لندن في فترة سابقة، وأقام لمدة عامين يعمل في مجلة (الأزمنة الإفريقية)، حيث نال تدريباً كافياً في التحرير الصحفي، وتزود بحصيلة وافرة من المعلومات التاريخية عن الحضارات الإفريقية زوده بها دوس محمد.

وقد انطلق ماركوس جارفي من ثم ليؤسس حركته النهضوية التي سماها (رابطة السود المتحدين من أجل التقدم) (United Negro Improvement Association)، ومجلته التي سماها (عالم السود) (Negro World)، التي نشرت أبحاثاً توجيهية عميقة عن الإنجازات الحضارية للشعوب السوداء، كان لها تأثير واسع على سود أمريكا، حيث أدت إلى اعتزاز الكثيرين منهم بأصولهم وبهويتهم وماضيهم الحضاري الزاهي.

وقد كان من ضمن من تأثروا بتلك الأبحاث الزعيم الأمريكي الأسود إليجيا محمد الذي التقى ماركوس جارفي في مدينة ديترويت في أواخر عشرينيات وأوائل ثلاثينيات القرن الماضي، واكتسب عضوية (رابطة السود المتحدين) التي كان يقودها الزعيم جارفي ويؤجج بها نضالات عمال المصانع السود في ديترويت في خلال سنوات الكساد العظيم في الثلاثينيات. وقد اكتسب إليجيا خلال انخراطه في تلك الحركة بعض المفاهيم الإسلامية الأولى مثل الإيمان بوحدة الإله، جل شأنه، وذلك مفهوم كان الزعيم ماركوس جارفي قد استقاه من معلمه دوس محمد علي، وقد تطورت معرفة إليجيا محمد بالإسلام عبر التقائه بالزعيم الأمريكي ذي الأصل اليمني فارض محمد علي وغيره، ولكن لم تصل مفاهيم إليجيا محمد الإسلامية إلى درجة الصفاء ولم تكتمل قط وذلك حتى وفاته في عام ١٩٧٦م، ولكنه أعطى شيئاً كثيراً عندما عرف مالكوم وراسله وهو في السجن، واصطفاه عقب خروجه منه، وصعده في قيادة الحركة إلى أن دب بينهما الخصام في عام ١٩٦٤.

الشيخ القادم من دنقلا !

وقد جاءت الدفعة التأثيرية الثانية بصورة غير مباشرة عن طريق إرشادات الشيخ الداعية السوداني ساتي ماجد، شيخ الإسلام في أمريكا في عشرينيات القرن الماضي، وهو داعية من دنقلا العجوز، حفظ القرآن الكريم ببلاده في الصغر، ثم نزح إلى مصر حيث درس العلوم الشرعية لفترة قصيرة بالأزهر الشريف، وهناك تعرف على عدد من العلماء المهتمين بأمر الدعوة.

ومن مصر ارتحل إلى بريطانيا حيث قضى فترة قصيرة اهتم فيها بأمور الدعوة، ثم انتقل إلى الولايات المتحدة الأمريكية متعقباً دعايات المبشرين التشويهية لدين الإسلام. وبوصوله إلى نيو يورك في عام ١٩٠٤م بدأ أعماله التأسيسية مستعيناً ببعض من وجدهم هناك من المسلمين اليمنيين والأتراك وغيرهم، حيث أنشأ جمعية (تقوية الخلافة العثمانية) وهي جمعية ذات طابع سياسي أممي قصد به تنسيق جهود المسلمين لمقاومة أعداء الإسلام من الأوروبيين الذين استهدفوا إسقاط الدولة العثمانية، وأنشأ جمعية أخرى باسم (الاتحاد الإسلامي) وأخرى باسم (الهلال الأحمر) و(الجمعية الخيرية الإسلامية) و(مسجد مصانع فورد للسيارات)، وتمكن الشيخ ساتي ماجد بدعايته الحصيفة لدين الإسلام من أن يكفكف بعض غلواء المبشرين الحانقين، وأن يكتسب أنصاراً جدداً من بعض الأمريكان البيض والسود إلى صف الإسلام.

وفي بحث له نشر بكتاب (الغرب بعيون عربية) ذكر المؤرخ العلامة الدكتور حسن أحمد إبراهيم أن الشيخ ساتي ماجد وصل إلى مدينة نيويورك: " عن عمر يناهر الواحد والعشرين عاماً، وبدأ نشاطه الدعوي، على أنه التفت بادئ ذي بدء إلى مقالات معادية نشرها آنئذ في مجلة (نيويورك تايمز) قسيس كاثوليكي ادعى النبوة هو جون درو الذي لقب نفسه النبي إليجا، ورد الشيخ ماجد على هذه الحملة الشعواء بمقالات أرسلها إلى تلك الجريدة، إلا أنها رفضت نشرها، عندئذ رفع صاحبنا دعوة قضائية بالمحكمة في نيويورك طالب فيها إلزام الجريدة بنشر تلك المقالات في العمود نفسه الذي نشرت فيه مطاعن القسيس أو الحكم له بمئتي ألف دولار رد شرف نظير التشهير بالإسلام والحط من كرامة المسلمين.

وحكمت المحكمة بنشر مقالات ساتي ماجد في الجريدة مما أدى إلى ضجة صحافية كبيرة في الأخذ والرد، ونتج عن ذلك تزايد شهرة الشيخ في الأوساط الشعبية، وتجمع حوله عدد من المريدين الأمريكان والأفغان والهنود والأفارقة الذين قبلوا الإسلام، على أن الصحافة الأمريكية لم تمكن ساتي ماجد من نشر حججه فيها بالطريقة التي خطط لها، فلجأ الى وسيلة دعوية أخرى تمثلت في تكوين عدد من الجمعيات الخيرية الإسلامية من وقت لآخر[١].

وقد تَاحَ الدكتور حسن أحمد إبراهيم أن ينقب في مجموعة الأوراق الخاصة التي خلَّفها الشيخ ساتي ماجد ونقل لنا منها قوله: " إني هاجرت إلى بلاد الحرية والعدالة في مدة تزيد عن خمس وعشرين سنة، وكنت أنظر إلى أناس من مهاجري الشرق يتكلمون عن الديانة الإسلامية بوعر الكلام، ولما نظرت إلى هذه التعديات قمت ضد المقاومين، وكنت أرد عليهم في الجرائد الحرة، ولما وجدت أن النشرات في الجرائد لا تجدي نفعاً، بدأت أعالج الأمر بنشر الدين الطاهر، وكنت أجد عنتاً كبيراً من المقاومين، ولكن بفضل الله وفضل عدالة حكومة أنكل سام لم يكونوا يقدرون على عمل شيء فيما كانوا يقاومون به ضد هذا الدين الطاهر، ولما نظرت إلى كثرة الذين اعتنقوا الديانة الإسلامية، نظرت أن الواجب الديني يلزم له القيام بما فرض الله عليهم من إقامة الصلاة وصوم شهر رمضان المبارك، ولا يتم هذا العمل الشريف إلا بجمع الكلمة والاتحاد اتباعاً لقوله تعالى: " فتمسكوا بحبل الله" [٢]، ونظرنا أن لا قدرة حالية لهذا العمل، إلا أننا أسسنا لهم جمعيات باسم الخير الإسلامية[٣]. فتوفر الشيخ على بذل الجهد على الصعيد العملي الإيجابي بعد أن بذل وسعه في سبيل مكافحة زيف الخصوم.

وفي الصف المحسوب على الإسلام باشر ساتي ماجد جهوده في تصحيح عقائد جماعة (أمة الإسلام) التي كان يقودها إليجيا محمد، وجمعية (المعبد الإسلامي) بقيادة نوبل ودرو علي، وكلاهما ادعى النبوة. كما كافح الشيخ ساتي ماجد جهود

---

(1) http://local.taleea.com/archive/newsdetails.php?id=5808&ISSUENO=1609

(٢) النص الصحيح للآية الكريمة هو قول الله تعالى: {وَاعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ اللّهِ جَمِيعاً وَلاَ تَفَرَّقُواْ وَاذْكُرُواْ نِعْمَتَ اللّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاء فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَاناً} آل عمران١٠٣.

(3) http://local.taleea.com/archive/newsdetails.p

جماعات القاديانيين والبهائيين الذين كانوا ناشطين في تشويه صورة الإسلام وتحريف تعاليمه، وإِضافة ما ليس منه إِليه.

وفيما يختص بجماعة (أمة الإسلام) فقد تبادل ساتي ماجد مراسلات ومداولات عديدة حول عقائد تلك الجماعة مع داعيها الأول إِليجيا محمد، فتحت ذهن الداعي إلى خطورة دعاويه المنكرة. وقد اعترف إِليجيا محمد بالفوائد الجمة التي اجتناها من حكمة الشيخ ساتي ماجد وعلمه، وخاطبه في أحد رسائله الجوابية إِليه بأدب واحترام شديدين، وهي الرسالة التي وردت بنصها الإِنجليزي وبخط يد إِليجيا محمد، في الكتاب الفريد الذي أعده الأستاذ عبد الحميد محمد أحمد بعنوان (ساتي ماجد الداعية السوداني بأمريكا) وقد ترجمها الأستاذ عبد الحميد كما يلي:

١٧ ديسمبر ١٩٢٨ م

الوالد المحترم ساتي ماجد

شيخ الإسلام في أمريكا

سيدي:

من خلال هذه السطور العجلى نكتب إِليك، نحن أبناؤك في ظل العقيدة الإِسلامية، والذين ازدادت أعدادنا دخولاً في دين الله، بل وما زال عددنا يتضخم بفضل الله. تجد رفق هذه الرسالة اثنتي عشرة رسالة كان من المفترض أن ترسل إِليك قبل هذا التاريخ من أبناءك في هذه البلاد. وإِن أنسى فإِني لن أنس أن أشكر لك كلماتك الحكيمة والمفيدة والتي استفدنا منها وستظل زادنا في المستقبل. نأمل لقياك قريباً.

المخلص لك: إِليجيا محمد[١]

إِن إِليجيا محمد لم يُنحِّ عنه جانب التفكير العنصري حتى خاتمة عمره، ولكنه كان كما يقول عنه حديثاً حارسه الشخصي مراد محمد يعي جيداً باطل التفكير العنصري، ولم يك يجد له أي صلة بدين الإِسلام، وإِنما ثابر على نشر الفكر العنصري لمجرد أنه وجد فيه أداة تعبوية جيدة لبعث الأمل في نفوس السود ورص صفوفهم في حركة نضالية

(١) عبد الحميد محمد أحمد، ساتي ماجد: الداعية الإِسلامي السوداني بأمريكا، معهد البحوث والدراسات الاجتماعية، الخرطوم، ١٩٩٥، ص ١٥٠.

قوية ضد البيض. ويضيف مراد محمد في شرح فصول تجربته مع إليجيا محمد: " إن رسالة إليجيا لم تكن تعليم الدين الإسلامي، وإنما تطهيرنا من أدواء المخدرات والخمور والدعارة والانحلال النفسي، وذلك بانتظار من يأتي في المستقبل ليعلمنا دين الإسلام. صحيح أننا لم نفهم كلمته تلك في ذلك الأوان، ولكنا بدأنا نتفهمها الآن"(١).

وذلك هو خط التدرج الذي سارت عليه جماعة (أمة الإسلام)، ومضت عليه بخطى وئيدة حيث ظلت تصفو شيئاً فشيئاً مما ران عليها من أوشاب، وعلى تلك الخطى بدا ملمح سوداني آخر، هو ملمح الشيخ أحمد حسون السلفي.

---

(1) Steven Barboza، American Jihad: Islam After Malcolm X، Doubleday Inc.، New York، 1993، pp. 151-152

من أنصار السنة... إلى هارلم !

جاء التأثير التصحيحي المباشر على فكر مالكولم إكس ومسيرته الدعوية، من قبل الشيخ أحمد حسون السلفي، والزعيم الأسبق لحركة أنصار السنة المحمدية بالسودان. وهو رجل كان على اتصالات وثقى واسعة بالأوساط السلفية العالمية، حيث كان يتحدث اللغة الإنجليزية بحكم عمله لسنوات طويلة بإدارة البريد قبل استقلال السودان.

وبسبب من قدرة الشيخ حسون على التخاطب بتلك اللغة فقد انتدبته رابطة العالم الإسلامي بمكة المكرمة للعمل مرشداً لما كان يُعرف بالمعبد الإسلامي رقم (٧) الذي كان تحت التأسيس بهارلم في نيو يورك. وكان خطيب ذلك المسجد هو الداعية مالكولم إكس، فالتقاه الشيخ حسون وعمل مرشداً شرعياً له، وأعانه على تفهم تصورات الإسلام الكبرى ومدلولات قواعد ونصوص الشرع، وكان مثل ذلك العون أشد ما يحتاج إليه مسلم نابتٌ في بيئة غريبة ومنبثق عن خلفية ملوثة شأن مالكولم إكس.

ظل الشيخ حسون يرافق مالكولم إكس ويوالي نصحه، وتفطينه، وشرح آي القرآن وإبانة أحكام الشرع الحنيف له، كما كان يحضر محافله الخطابية الحاشدة ويظهر معه على منصة الخطابة، وتلتقط له الصور معه.

ومن عجب فإن تعليقات الصحف والمجلات الأمريكية على تلك الصور لم تصب الحقيقة أبداً، فكل صحيفة أو مجلة – على حسب اجتهادها أو تخمينها – تنسب الشيخ إلى أي وطن إلا السودان، وذلك مع أن الشيخ كان يرتدي دائماً جلباباً أبيض ويلوثُ عمامته البيضاء على الطريقة السودانية.

وقد بقي الشيخ حسون رفيقاً حميماً لمالكولم إكس في أيامه الأخيرة التي اكتظت بالتحديات والمخاطر، لاسيما مخاطر نزاعه الميدئي مع جماعة إليجيا محمد التي نفذت أخيراً تهديدها له باغتياله. وحسبما ورد في تعليقات إليكس هيلي على مذكرات مالكولم إكس فإن الشيخ حسون كان هو الذي تولى غسل جثمان مالكولم إكس وتكفينه ودفنه على الطريقة الإسلامية السنية، وذلك خلافاً لعادات الدفن البدعية لمسلمي أمريكا حينها.

يحدثنا عن ذلك محرر مذكرات مالكولم إكس فيقول: " وبينما كان أحباب مالكولم إكس يتجمهرون عند الظهر في المكان المعد لتجهيز الموتى بهارلم بنيويورك،

اضطرب الحضور لظهور جمع من نحو اثنى عشر شخصاً في قيادتهم شخص متقدم في السن، وقور الطلعة، يضع على رأسه عمامة بيضاء، ويرتدي عباءة سوداء، وتهوي لحيته البيضاء إلى صدره، ويتوكأ على عكازة طويلة. وعندما همَّ الصحفيون بالتقدم نحوه يطلبون منه الإدلاء بتصريح صحفي يتعلق بالحادثة، أومأ إليهم أحد رفاق الشيخ بالانصراف وهمهم قائلاً: " إن من الخير دائماً أن يحفظ المرء لسانه لئلا يخونه بقول يندم عليه " !

كان الشيخ الوقور القادم هو أحمد حسون، وهو مسلم سني من السودان، كان يعمل أستاذاً للشريعة الإسلامية بمكة المكرمة لمدة ثلاثة وثلاثين عاماً. وهناك التقى مالكولم إكس عندما جاء هذا بغرض أداء فريضة الحج، ثم ما لبث أن أتى وراءه إلى الولايات المتحدة الأمريكية ليعمل مستشاراً روحياً لمالكولم، ومدرساً بمسجد المسلمين بنيو يورك.

لقد قام الشيخ حسون بتجهيز جثمان مالكولم للدفن طبقاً للتعاليم الشرعية الإسلامية. وقد بدأ أولاً بنزع الملابس الغربية التي كانت على مالكولم وقت العرض، ثم غسل الجثمان بنوع معين من الزيت المقدس، ثم لفه بسبع قطع من القماش الأبيض تسمى بالكفن. ولم يترك من الجسد مايبدو للعيان سوى الوجه بشاربه المحمر قليلاً، واللحية الصغيرة المشذبة جيداً.

وقد اتجه المعزون الذين وفدوا مع الشيخ نحو النعش، وبدأوا يقرأون بعض آيات القرآن الكريم، وعندما فرغوا من تلك التلاوة اتجه الشيخ حسون إلى مندوب دار تجهيز الموتى قائلاً: " إن الجثمان جاهز الآن للدفن "، ثم ما لبث الشيخ أحمد حسون ورفاقه أن انصرفوا، ليعود الناس للتجمهر حول الجثمان "[١].

كان ذلك هو ما ذكره مؤرخ الحادثة الأول الذي كان شاهد عيان عليها وهو الصحفي والأديب الأمريكي ذائع الصيت إليكس هالي، وسرعان ما انطلقت التحريفات على تلك الحادثة ممن نقلوا عن وصف هالي للمشهد، فمن قائل إن الشيخ حسون مسلم من الكونغو، ومن قائل إنه مسلم من مكة المكرمة، ومن قائل أنه شخص إفريقي !

---

(1) Malcolm X and Alex Haley، The Autobiography of Malcolm X، Ballantine Books، New York، 1965، pp. 490 – 491.

وكمثال لتلك التحريفات العجيبة فهذا أحد الكتب في سيرة مالكولم إكس تم إعداده ليناسب عقليات الناشئة على مستوى طلاب المدارس المتوسطة والثانوية، يحمل عنوان Malcolm X : Another Side of the Movement يتطرق لموضوع الشيخ حسون ويروي خبره بهذا الإبهام. يقول الكتاب: " وفي يوم الجمعة الذي أعقب مقتل مالكولم إكس ظهر في دار التجهيز والعزاء رجل جليل المظهر له لحية طويلة بيضاء يتكيء على عكازته المعقوفة، ويرتدي جلباباً وعباءة وكان اسمه الشيخ أحمد حسون الذي أتى من القارة الإفريقية في العام الماضي خصيصاً ليعلم مالكولم الإسلام التقليدي وليساعده على نشره في الولايات المتحدة.

وبعملية اتسمت بالبطء الشديد، قام الشيخ بمعاونة مساعديه بتجهيز جثمان مالكولم إكس للدفن على النمط التقليدي الإسلامي. وقد بدأ الشيخ بنزع الملابس الغربية التي كان يرتديها مالكولم إكس، ثم قام بغسل جثمانه سبع مرات بالزيت المقدس، ثم كفنه بسبع قطع بيضاء من القماش " .

هكذا عبثت الروايات الأمريكية غير الموثقة بهوية الشيخ أحمد حسون، وحتى الآن لا توجد معلومات إضافية عن سيرة الشيخ حسون الأمريكية وعلاقته بمالكولم إكس، اللهم إلا إذا وردت في المستقبل بعض المعلومات من إضبارات مكتب التحقيقات الفدرالية الأمريكية، أو من مجموعة الوثائق الخاصة بأسرة مالكولم إكس، وهي وثائق تم العثور عليها مؤخراً.

ومن الأدبيات التاريخية القليلة عن هذا الموضوع في السودان قد يفيدنا ما أورده الأستاذ محجوب عمر باشري عن شخص الشيخ حسون، فقد ذكر أنه كان رجلاً صاحب فكاهة وجدل. وذكر عن الجانب الأدبي والمرح فيه أنه كان: "مطلعاً على الأدبين العربي والإنجليزي، ومُبيناً في حديثه باللغتين. وقد أعجب به الشيخ الطيب السراج، والسيد عبد الله محمد عمر البنا، فكانت أزهى المجالس التي يجتمع فيها الثلاثة، حتى أن أبناء الثلاثينيات كانوا يلقبونهم بالثلاثي الرائع. وأحمد حسون كان من أندر السودانيين الذين ألموا بالأغاني السودانية والأنساب السودانية والأحداث، كما كان راوية للشعر العربي والشعر السوداني في العامية والفصحى ".[1] وقد ذكر الأستاذ

باشري أن الشيخ كانت له صداقات ببعض ظرفاء عصره كالشاعر الكبير توفيق صالح جبريل.

وعن الجانب الجدلي الجاد في شخصية الشيخ أورد الأستاذ باشري أن الشيخ حسون استطاع : "أن يكون مبشراً بين الأوربيين والأمريكيين لأنه فصل الدين عن التصوف، وركز على الشريعة، وقارن بين الأديان الأخرى، كالمسيحية، ونفى التثليث والصلب وبرهن على ذلك"[1].

ولا شك أن شخصية بمثل هذه الخلفية الخصبة المرنة بإمكانها أن تكون خير معين يتفهم أوضاع مالكولم إكس ويسدد مسيرته الفكرية بنحو قاصد.

---

(١) المصدر السابق، ص ٤٤.

من حلفا إلى هارفارد !

وقد جاء التأثير الفكري والدعوي الحاسم على شخصية مالكولم إكس من قبل شخصية سودانية لا تزال على قيد الحياة، هي شخصية الأستاذ الدكتور أحمد صديق عثمان، حفظه الله .

لقد نهض بعد ذلك أحمد صديق عثمان في مشهد جنازة مالكولم إكس فألقى بالنيابة عن المركز الإسلامي بجنيف خطاباً مؤثراً قال فيه إن العالم الإسلامي بأجمعه يعترف بمالكولم إكس شقيقاً في العقيدة وبطلاً وشهيداً قضى نحبه في حومة المنافحة عن الدين الحق.

وثمَّن الأستاذ أحمد عثمان جهاد مالكولم إكس في سبيل المثل الإسلامية الإنسانية العليا، وقد ذكر أحد المراجع الأصلية عن تلك المناسبة أن أحمد صديق عثمان السوداني كان من الشجاعة بمكان، حيث أنه لم يعبأ بالتحذيرات الكثيرة التي هددته بالانتقام إن قام ذلك المقام، وذلك فضلاً عن أن وزارة الخارجية الأمريكية كانت قد أصدرت تعليماتها لكل المسلمين الأجانب ألا يشاركوا في مراسيم تشييع مالكولم إكس[١] .

وقد أتبع أحمد صديق عثمان خطبته البليغة بكتابات إلى الصحف الأمريكية، عمل فيها على تنقية سيرة مالكولم إكس مما ألصقته به التغطيات الصحفية المغرضة، وفصَّل القول في شأن التحولات الفكرية المتتابعة التي طرأت على فكر مالكولم إكس، وأدت به في النهاية إلى الإنخلاع عن الالتزام العرقي الشوفوني، وهي التحولات الإيجابية الباهرة التي كان يقف وراءها ويدفع بها قدماً الأستاذ أحمد صديق عثمان.

كان أحمد صديق عثمان شخصاً إيجابياً يرى في نفسه المقدرة على تحويل تيارات الأحداث والتأثير في الشخصيات التاريخية الكبرى عن طريق الفكر. لذا ما إن استمع إلى محاضرة عامة لمالكولم إكس في ظهيرة أحد أيام الأحد بمعبد المسلمين السود رقم (٧) بهارلم – نيو يورك حتى انبرى ليفصح عن دهشته لسوء فهم مالكولم إكس للإسلام، وللتخليطات والبدع الغليظة التي جاءت في ثنايا المحاضرة التي ألقاها على ذلك الجمع.

---

(١) Heshaam Jaaber، I Buried Malcolm، New Mind Productions Inc.، Jersey City، 1993، p. 81.

وكان طبيعياً أن يتصدى قطاع من المستمعين لهذا الذي وقف يعارض خطاب رئيسهم المثقف الذرب اللسان، والذي كان يعتبر ثاني أخطب خطيب في أمريكا يومها بعد المرشح الرئاسي باري غولد ووتر، ولكن مالكولم إكس كان يباين دوغمائية القطاع الأعظم من تابعيه وتابعي إليجيا محمد، فقد كان ذهن مالكولم دائم الانفتاح يقبل الجديد ويتفهمه، ويذعن له، متى ما ثبت أنه الأقرب إلى الحق.

ويحدثنا الدكتور أحمد صديق عثمان عن ذكرى تلك المواجهة التي جرت بينه وبين مالكولم إكس، فيقول: " وبعد أربع ساعات من الحديث المتصل الذي كان مالكولم إكس يلقيه أمام جمهور من حوالي خمسمائة شخص، فُتح باب النقاش، وهنا جاءت لحظة مواجهتي الأولى لمالكولم إكس. لقد أخبرته أن كثيراً من العقائد والآراء التي تتبناها نحلة المسلمين السود هي على النقيض تماماً من تعاليم الإسلام الأصيل، لا سيما ذلك الاعتقاد العجيب في إليجيا محمد على أنه رسول مبعوث من عند الله تعالى، ثم تلكم التفسيرات المنكرة لموضوع اللون والعرق.

لقد قلت لمالكولم إكس يومها إن من الواضح أن مما شدك كثيراً إلى الإسلام هو أنه دين يلغي في ضمير صاحبه أية نزعة للتفوق على أساس العنصر واللون، وأنه دين يستبدل بناحية التفرق بدعوى العنصر واللون، أخوة الإسلام الجامعة القائمة على مبدأ المساواة التامة بين المسلمين، وهي العلامة التي كانت وستظل دائماً علامة فارقة في تاريخ الإنسان. والآن فإننا واشتقاقاً من ذلك المبدأ الإسلامي الأصيل يمكن أن نثبت أن أي نزوع لسب الناس وشجبهم ولعنهم بسبب من لونهم أو نوع العرق الذي انحدروا منه أمر لا مجال له البتة في دين الإسلام !.

وهنالك استشاط المستمعون من الغضب، وكادوا يموجون من الغيظ، ولم يبق على قدم الانضباط إلا مالكولم إكس وحده. وقد عمل مع ذلك على ضبط جمهوره ومناشدته الهدوء والصبر، وعدم مقاطعتي حتى أكمل ما بدأت به من حديث. ولكن الجو كان قد اكفهر تماماً واستعر النقاش غير الموضوعي من جانب الحضور. وغادرت

---

(١) Ahmed Osman، Malcolm X: A Brother، (The Dartmouth) ، March 5، 1965.

المكان بعد نهاية النقاش وأنا غير مقتنع بآراء مالكولم إكس ولا آراء الحضور، ولكني خرجت بانبهار وإعجاب عميق بشخصية مالكولم إكس " [١].

لا بد أن أحمد صديق عثمان كان قد تناول في مداخلته تلك بالنقد عقيدة إليجيا محمد في الجنس الأبيض، وخلاصتها أنه جنس ملعون ممسوخ، ذلك أن الله تعالى خلق البشر جميعاً سود البشرة، ثم اقترف بعضهم من الآثام العظام ما استوجب مسخهم إلى بشر بيض، وتلك العقيدة المزعومة كانت قد تأصلت في أوساط مسلمي أمريكا السود دهراً طويلاً، وتشرَّبها بعمق مالكولم إكس وبشر بها في محافل كثيرة، وذلك إلى أن انتهى عنها في أُخريات أيامه عندما حج البيت الحرام، ورأى بأم عينيه المسلمين من مختلف الألوان، يدينون بدين واحد، فأدرك حينها أن الإيمان بإله واحد، يعني أيضاً وحدة الخلق، وعبر عن ذلك بقوله في رسالته الشهيرة التي بعث بها لعدد من أصدقائه بعد الحج:

" في خلال الأحد عشر يوماً الماضية التي قضيتها في العالم الإسلامي لقد أكلت من نفس الطبق وشربت من ذات الإناء، ونمت على ذات الفراش، هذا بينما كنا نصلي لذات الإله مع جموع المسلمين من ذوي العيون الأكثر زرقة، والشعر الأشد شقرة، والبشرة الأنصع بياضاً، والذين هم في كلامهم مثلما هم في أفعالهم أحسست بنفس الصدق الذي أحسسته في المسلمين من نيجيريا وغانا والسودان " [١].

كانت تلك هي التجربة في ذروتها، فقد تم اقتلاع المشاعر العنصرية من جذورها في قلب مالكولم إكس، وإلا فإن التمهيدات النظرية الأولى لكل ذلك كانت قد جاءت تتواتر مع قديم مع اعتراضات أحمد عثمان على إفادات مالكولم إكس في محاضرته تلك بهارلم، ثم في خطاباته المتصلة إليه.

وقد تفضل مالكولم رغم انشغاله الغالب بالإجابة على كل رسائل أحمد صديق عثمان إليه، وذلك مما يدل على أهمية تلك الرسائل وما كانت تثيره من موضوعات خصبة، ولعل باحثاً جاداً يدفعه الصدق ويسعده الحظ فيعثر على مجموع تلك الرسائل

(١) Heshaam Jaaber، I Buried Malcolm، New Mind Productions Inc.، Jersey City، 1993، p. 81.

ذات يوم. ثم يفيدنا بما تضمنته من معلومات قيمة، وليس أمامي الآن سوى الرسالة الجوابية الوحيدة التي كان مالكولم يسأل فيها الأستاذ أحمد صديق عثمان عن تفسير آيتين من القرآن الكريم أشكل معناهما عليه.

ونستحسن هنا أن ننشر ترجمة النص الكامل لتلك الرسالة، وهي – في حدود علمي – تنشر للمرة الأولى سواء في الإنجليزية أو العربية إذ أني حصلت عليها من مصدر خاص، وفي تلك الرسالة يخاطب مالكولم إكس صديقه قائلاً:

بسم الله

١٨ نوفمبر ١٩٦٣م

من مالك شباز

٠١٥٣ أنابليونكس بنيو يورك

إلى السيد أحمد عثمان

ص. ب. ٤٦٤ هانوفر: نيو هامشر

أخي العزيز:

عسى أن تجدك هذه السطور وأنت تهنأ بالصحة والرغد والسعادة بإذن الله. خلال الشهرين الفارطين كنت في ترحال مستمر، لذا لم أجد أدنى فرصة لأكتب لك رداً على رسالتك إليّ. وأود أن أحدثك الآن بأني قد استمتعت ملياً بقراءة الكتيبات التي بعثت بها إليَّ في شرح الدعوة الإسلامية، وإني لأود أن أبث هذه الكتيبات وسط حشود الأخوة والأخوات هنا، وذلك بمجرد ان أجد الوسائل اللازمة لإعادة طبعها ونشرها.

وأود أن أخبرك بأمر آخر هو أن بحوزتي ترجمتين لمعاني القرآن الكريم، الأولى: بقلم يوسف علي، والثانية: بقلم محمد علي، وإني لأوثر الأولى بمزيد حبي وإعجابي.

في رسالتك القادمة إليّ أرجو أن تشرح لي معنى الآية الكريمة: " يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض ومن يتولهم منكم فإنه منهم إن الله لا يهدي القوم الظالمين "، والآية الكريمة: " يوم ينفخ في الصور ونحشر المجرمين يومئذٍ زرقاً".

أسأل الله أن يوالي نعمه وهدايته عليك...

أخوك: مالكولم إكس

لم يضمِّن مالكولم نص الآيتين في رسالته، وإنما أشار إليهما برقم السورة والآية، وقد آثرنا في الترجمة أن نورد نص الآيتين لما يستوجب ذلك من تعليق. حيث يبدو أن مالكولم كان ما يزال يرسف في أسر النُّعرة العنصرية ولم يتمكن بعد من تحديد علاقته بشكل إيجابي مع المجتمع المحيط. فهو يسأل عن شروط العلاقة بين المسلمين وغير المسلمين، هذا إذا كانت مثل تلك العلاقة ممكنة على الإطلاق.

وقد غاب على مالكولم أن يدرك فارقاً مهماً بين مصطلح (الولاء والبراء) ومصطلح (المعاملة بالقسط)، ويجوز لنا أن نفترض أن أحمد عثمان قد قام بشرح ذلك ملياً لمالكولم إكس، ومما يسوِّغ لنا الركون إلى ذلك الافتراض أن أحمد عثمان كان على صلة قوية بالأدبيات الإسلامية، التي كان يعثر على طرف منها من المركز الإسلامي بجنيف، الذي كان يديره حينها العلامة المجاهد الكبير الدكتور سعيد رمضان، رحمه الله، وهو أحد المراكز الإسلامية القليلة التي كانت تشع بنور الفكر الإسلامي المتقدم في الغرب.

وأما سؤال مالكولم إكس عن زرقة وجوه المجرمين في يوم الحشر فهو فرع من حساسيته المفرطة تجاه موضوع اللون، حيث كان يلاحظ أن كل ما هو منكر وشائن من شؤون الحياة كان يطلق عليه وصف السواد، وأن كل ما هو حسن ومليح يسبغ عليه وصف البياض. وفي لفتة طريفة في مذكراته أحصى مالكولم إكس من القاموس عشرات الأمثلة لذلك التحامل كما كان يراه.

وقد أدهشه أن يجد مثل ذلك في القرآن الكريم، وهنا نفترض ثانية أن الأستاذ أحمد صديق عثمان قد دله على المعنى الصحيح الذي اشتملت عليه بعض كتب التفسير، وهو أبعد ما يكون عن المعنى الذي قد يكون ترامى إلى خاطر مالكولم إكس.

يقول الإمام محمد بن علي الشوكاني رضي الله عنه، في تفسير هذه الآية: " والمراد بالمجرمين: المشركون والعصاة المآخذون بذنوبهم التي لم يغفرها الله لهم، والمراد بـ (يومئذٍ): يوم النفخ في الصور. وانتصاب (زرقاً) على الحال من المجرمين، أي زرق العيون، والزرقة الخضرة في العين كعين السنور، والعرب تتشاءم بزرقة العين، وقال الفراء: (زرقاً) أي عمياء. وقال الأزهري: عطاشاً، وهو قول الزجاج، لأن سواد العين يتغير

بالعطش إلى الزرقة. وقيل: إنه كنى بقوله: (زرقاً) عن الطمع الكاذب إذا تعقبته الخيبة. وقيل: وهو كناية عن شخوص البصر من شدة الحوص، ومنه قول الشاعر:

لقد زرقت عيناك يا بن معكبر
كما كَلّ ضب من اللوم أزرق[1]

ولعل مالكولم إكس قد أطمأن كثيراً إلى مثل هذه الأقوال في تفسير الآية التي تبعد شبح التفكير العنصري الذي كان يسيطر عليه في ذلك الحين، حيث وصفه صديقه الأستاذ إليكس هالي بأنه كان يحشد كل شيء في أفق عنصري !.

ثم كانت لأحمد صديق عثمان مأثرة كبرى على مالكولم إكس ذلك أنه يسر له الطريق في رحلة الحج. وتمهيداً لذلك قام أحمد صديق عثمان بتقديم مالكولم إكس إلى الداعية المصري الدكتور محمد يوسف الشواربي مؤلف كتاب (المسلمون في أمريكا)، وكان الدكتور الشواربي في ذلك الأوان يعمل مديراً للمركز الإسلامي في نيو يورك. وقد استهدف أحمد صديق عثمان بذلك تعريض مالكولم إكس لمصادر إسلامية ذات ثقل علمي عسى أن تتمكن من تسديد خطاه في طريق استكمال المعرفة بالإسلام.

وقد جاء التعارف في اللحظة المناسبة عقب انشقاق مالكولم إكس عن منظمة (أمة الإسلام) بقيادة إليجيا محمد، وهي اللحظة التي أعطت مالكولم إكس فرصة جيدة لمراجعة تراثه الفكري ومسلماته الآيديولوجية والتفتح على أضواء كان محجوباً عنها فيما مضى.

وقد لاحظ الدكتور الشواربي تحرق مالكولم إكس الحقيقي للمعرفة، فقال: " لا أستطيع أن أخفي إعجابي الشديد برغبة مالكولم إكس في العلم بحقائق الإسلام، إلى حد أنه كان أحياناً ينخرط في البكاء عندما أقرأ عليه بعض آيات القرآن الكريم ".

وعن طريق الشواربي انفتح مالكولم إكس على مصادر أخرى، فقد تلقى عبر الدكتور الشواربي هدية قيمة من الزعيم العربي الإسلامي المعروف عبد الرحمن عزام، الأمين العام الأسبق لجامعة الدول العربية، رحمه الله، وكانت الهدية عبارة عن كتابين

(١) محمد بن علي بن محمد الشوكاني: فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، تحقيق د. عبد الرحمن عميرة، دار الوفاء، المنصورة، ١٤١٨ هـ، ج ٣، ص ٥٢٨.

في الفكر الإسلامي أحدهما من تأليف عبد الرحمن عزام نفسه، وهو كتابه (الرسالة الخالدة) الذي نشر بعدة لغات، ثم تلقى مالكولم إكس دعوة لأداء فريضة الحج، حيث أصبح ضيفاً رسمياً على حكومة المملكة العربية السعودية، ونعم بلقاء الملك فيصل بن عبد العزيز آل سعود – الذي كان أميراً حينها – وقام الأمير فيصل بتوجيه مالكولم إكس لقراءة الأدبيات الإسلامية السنية، بعد أن أبدى له عن وجهة نظر سلبية في الأفكار العنصرية لإليجيا محمد.

وفي أيام الحج التقى مالكولم إكس بعدد من أبرز علماء الإسلام شأن الشيخ محمد علي الحركان، والشيخ أمين الحسيني، وكان لهم جميعاً أثرهم في توجيهه إلى فهم أصح لدين الإسلام. وقد أمعن مالكولم إكس في الحديث عن هذا الجانب في ختام مذكراته، فلا داعي لاستعادته هنا، ولكنا نرمي من وراء الإشارة إلى ذلك إلى أن ذلك كله ما جاء إلا تأكيداً ونتاجاً للمقدمات الطويلة التي دأب وثابر أحمد إكس عثمان على ترسيخها في خاطر مالكولم إكس.

وأما إدخال مالكولم إكس إلى الحرم الجامعي ليحاضر حول قضايا السود وحول قناعاته الإسلامية الحضارية الجديدة، فقد كان لأحمد إكس عثمان فيه القدح المعلى. وقد أبرزت صحيفة (The Dartmouth)، أن دور أحمد إكس عثمان في ذلك كان دوراً أساسياً، وإذا كان أحمد إكس عثمان هو الذي دبر دخول مالكولم إكس لحرم جامعة هارفارد، وبالتحديد كلية القانون فيها، فإن ذلك إنجاز تاريخي في حد ذاته.

وقد أشار مالكولم إكس إلى ذلك الحدث في كلمة غنية عميقة مشحونة بالسخرية والطرافة معاً عندما قال: " كان عليَّ في أحد الأيام أن أتكلم في (الفُورَم) بكلية الحقوق بجامعة هارفارد وبينما كنت ماراً ألقيت نظرة من النافذة فرأيت في مواجهتي البناء الذي اتخذته ملجأ ألوذ به أيام كنت أسطو على المنازل. كانت هذه النظرة بمثابة مدٍّ من الأمواج أخذ يتلاطم في داخلي. وغمرتني ذكريات فساد أخلاقي، بعد أن عشت وفكرت كحيوان.

إن الله إذ أتاح لي أن اكتشف دين الإسلام، قد انتشلني من الوحل، وها أنا الآن ذاهب لأتكلم في (فورم) كلية الحقوق بجامعة هارفارد، وتذكرت حينئذٍ قصة كنت

قد قرأتها وأنا في السجن (حيث كنت مغرماً بالميثولوجيا اليونانية) . إنها قصة إيكار . فهل تذكرون القصة ؟ إن والد إيكار صنع أجنحة لصقها بالشمع قائلاً لابنه : (لا تحلق عالياً جداً) . وعلا إيكار في الجو حيث تملكه سرور كبير، وقد بلغ به السرور حداً جعله يعتقد أنه كان يطير بنفسه، فَعَلاَ عندئذٍ في السماء، وظل يعلو فيعلو إلى أن أذابت الشمس الشمع، فإذا بإيكار يهوي شاكاً إلى الأرض.

وأمام تلك النافذة في هارفارد آليت على نفسي لله ألا أنسى أبداً أن أجنحتي قد منحني إياها دين الإسلام . إنني لم أنس ذلك قط، ولا للحظة واحدة " [١] .

لقد استمع إلى محاضرات مالكولم إكس بتلك الجامعة العريقة أفراد من زبدة المجتمع الأمريكي، إذ أن هارفارد يذهب إليها عمارة أبناء النخب الأمريكية وأرباب النفوذ العام، وصدر كتاب كامل يتضمن تلك الخطب المشهودة . وكان عجباً من العجب أن يتكاثر الناس على مدارج تلك الجامعة النخبوية ليستمعوا إلى خطيب أسود نبت بوحل الأرض، ولا تفسير لذلك العجب إلا ما ذكره مالكولم إكس من أن أجنحته قد وهبه إياها دين الإسلام !

(١) من الترجمة العربية لمذكرات مالكولم إكس بقلم الأستاذ ذوقان قرقوط .

من هو أحمد عثمان ؟

إِن من حق القارئ الآن، وقد طال المقال، أن يعرف شيئاً عن شخص أحمد صديق عثمان: من هو ؟ وأين هو الآن ؟ ونقول: إِنه شخص (حلفاوي) عتيد، ومعنى ذلك أنه من شمال السودان الأقصى، من أحفاد أولئك النوبيين الذين عُرفوا بالتصميم، وصلابة الرأي، وشهد لهم بذلك من قديم الزمان كل من عمرو بن العاص، وعبد الله ابن أبي السرح، وقد عُرف (الحلفاويون) بعد ذلك بولعهم بالترداد والتجوال في أنحاء الدنيا، شأنهم شأن الفينيقيين واليونانيين. وما زال أحمد عثمان يضرب في أرجاء الأرض ويجوب أصقاعها حتى حط برحاله في الخمسينيات في شمال أمريكا، يبتغي إِكمال دراسته الثانوية، التي كان قد بدأها بالخرطوم، وقد تَاحَ له أن يكملها بمدارس نيو يورك، ونيو جيرسي، وميريلاند، ورجع على إِثر ذلك ليدرس لمدة عام واحد بجامعة الخرطوم، ثم انقلب إِلى جامعة دارتموث بالشمال الأمريكي، وهي إِحدى جامعات الطبقة الأولى التي تنتمي إِلى ما يُعرف برابطة جامعات أشجار اللبلاب (Ivy League)، حيث نال منها إِجازة الاقتصاد التي أهلته للالتحاق لنيل درجتي الماجستير والدكتوراه من جامعة هارفارد في السبعينيات، ولنيل زمالة ما بعد الدكتوراه من جامعة هارفارد في الثمانينيات.

إِن سيرة (الطالب) أحمد صديق عثمان قد اتسمت بنبوغ عظيم، وإِلا لما نال خلال دراسته الثانوية جائزة صحيفة (هيرالد تربيون) القومية، لطلاب الثانويات، ولما نال خلال دراسته الجامعية كلاً من منحة مؤسسة فولبرايت، ومنحة خريجي جامعة دارتموث، ولما نال خلال دراسته فوق الجامعية منحة جامعة دارتموث للدراسات العليا بجامعة هارفارد، ومنحة جامعة هارفارد للدراسات العليا، ومنحة مؤسسة إِيرهارد للدراسات العليا بجامعة هارفارد، ومنحة جامعة فلتشر للدراسات العليا، ولما نال أخيراً منحة جامعة هارفارد للزمالة فوق الدكتوراه.

وإِن سيرة (الأستاذ) أحمد صديق عثمان قد برقت أيضاً بآيات النبوغ العظمى، إِذ بوأه أداؤه البحثي والتعليمي الممتاز مقعد مساعد أستاذ بجامعة هارفارد ومدرسة فلتشر للدبلوماسية، ومقعد أستاذ بجامعة دارتموث، وذلك قبل أن يجنح إِلى العمل

الاستشاري بعديد من المؤسسات الاقتصادية والنقدية العالمية، شأن البنك الدولي، ووكالة التنمية الأمريكية، ووكالة التنمية الكندية، والبنك الإفريقي للتنمية، والبنك الآسيوي للتنمية، والصندوق الفرنسي للتعاون والبنك الإسلامي للتنمية بجدة. وقد كلفته تلك المؤسسات بدراسة اقتصاديات نحو ثلاثين دولة نامية، وتدريس وتدريب الاقتصاديين الواعدين فيها. وفي توصيفات البنك الدولي، يعتبر الأستاذ أحمد صديق عثمان في عداد كبار علماء الاقتصاد والتنمية على مستوى العالم أجمع.

إن ذلك كله ولا شك مجد باذخ أحرزه بجده وكده الدائب الأستاذ الدكتور أحمد صديق عثمان، ولكن الأثر الأبقى له في عالم الفكر وتاريخ الإنسان هو ما ابتدره من مساعٍ حميدة وأعمال صالحة في سبيل تصفية فكر مالكولم إكس من رواسب القومية العنصرية التي كانت تستبد به، ووضعه على جادة طريق الدعوة والجهاد.

خاتمة

إِن هذه المجهودات التي بذلها دعاة ومفكرون سودانيون كان لها أثر عظيم في شخصية مالكولم إِكس وتحتاج إِلى مزيد من التقصي في البحث، كما أسلفنا، ولا زلنا نأمل أن ينهض دارس شاب جاد لاستكمال وتعميق هذا البحث عن المؤثرات السودانية في فكر ومسيرة مالكولم إِكس رضي الله عنه.



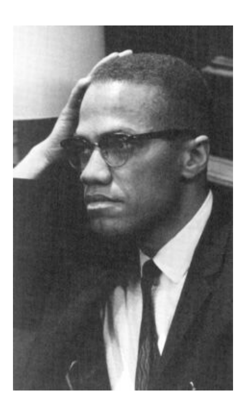
الزعيم دوس محمد علي صاحب الأثر العميق على الحركات النضالية السوداء



الداعية السلفي السوداني الشيخ أحمد حسون في لقطة تبرزه مع الزعيم الأمريكي مالكولم إِكس



إِليجا محمد



مالكولم إِكس في لقطة في آخر أيام حياته

رقم الإيداع

2006/ 672